جهاز التعليم العربي في إسرائيل: بين التدجين والتمييع

بقلم: د. خالد عرار

يجد الدارس لواقع التعليم العربي في إسرائيل فجوات عدة تنعى بعضها للنقص في البنية التحتية (أبو عصبة، 1997)، أو عدم مساواة في الملكيات والموارد المخصصة (سبيرسكي، 1995)، إلى جانب ضروب من التأديب الناتج عن علاقات الجبر والسيطرة والامتثال بين فواعل السلطة ومفاعيلها (الحاج، 1996)، أو نتيجة لفجوة بين خطاب المساواة وفعل الخصخصة وتعميق الهوة بدافع ممارسة السلطة الفعلية (سبيرسكي، 2004)، كما نعى درور (1999) الاختلاف القائم بين جهازي التعليم العربي واليهودي إلى نقطة انطلاقة مختلفة أو مغايرة من حيث الجاهزية الأولى عشية التأسيس لجهاز التعليم عند قيام دولة إسرائيل.

في هذا المقال نتعرض إلى جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل، من خلال عرض سياسات التدجين من جهة، وتوسيع الهوة وتمييع الفروق القائمة بين الجهازين من خلال خطط تبرر كما لو كانت تهدف إلى تضييق الهوة، إلى جانب علاقات الجبر والامتثال القائمة بين فواعل السلطة التربوية المركزية في إسرائيل ومفاعيلها، بما يقارب مفهوم "التأديب الفوكوي" المستخلص في كتابه المراقبة والمعاقبة.

لقد تعدد المتخصصون والباحثون في جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل، الذين أكدوا على الفروق الشاسعة القائمة بين جهازي التعليم العربي من جهة، واليهودي من جهة أخرى، ولقد ذهب الباحث أبو عصبة (1997) إلى نتيجة مفادها معاناة جهاز التعليم العربي من نقص في البنية التحتية، تؤثر بدورها سلباً على السيرورة التربوية في المدرسة العربية، والادعاءات نفسها أسمعها أيضاً الباحث سبيرسكي (1995) الذي أكد على وجود هوة في الموارد المخصصة لكل من الجهازين العربي واليهودي، أما الكتاب الذي أصدره الحاج (1996) بصدد جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل، معتمداً على نتائج أبحاثه المؤكدة على تطويع الدولة لجهاز التربية والتعليم لفرض سيطرتها وتسييرها للأكاديميين العرب كقوة مشغلة لهذه الطاقات البشرية، والتأكيد على صهرها وتدجينها من خلال بوتقتين؛ الأولى بوتقة المضامين والمخططات التربوية المندفعة بفعل أيديولوجية السيطرة وتغليب العدمية القومية، والبوتقة الثانية التي تتمثل في تغييب الدور الريادي الذي يمكن أن يلعبه الأكاديمي العربي؛ كما تمثل ذلك في تصريح وزيرة التربية السابقة ليفنات بأن تخصيص الميزانيات للمدارس العربية يتحدد وفقاً لمدى إخلاص الطلبة العرب وولاءهم للدولة، وهنا نجد أننا بصدد نقلة نوعية في توجهات المؤسسة الإسرائيلية من ولاء المدرسة كمؤسسة رسمية، إلى ولاء الطلبة للدولة من خلال علاقات الجبر والتغييب الوطني والتفريغ المضاميني المتمثل جلياً في المواضيع التعليمية ذات البعد الاجتماعي (التاريخ، والمدنيات واللغات أيضاً) (انظر أمارة، 2005).

في ضوء هذه الخلفية، نتعرض في هذا المقال إلى أربعة أبعاد من تجليات سياسة الدولة على مدار الأعوام السابقة اتجاه جهاز التعليم العربي في إسرائيل:

البعد الأول: غياب رؤية قومية وطنية وسياسة تربوية هادفة

يتضح جلياً غياب الرؤية التربوية الهادفة لبناء الهوية القومية والوطنية للطالب العربي، وهو التمييع القائم في مضامين التعليم، وبخاصة في مواضيع العلوم الاجتماعية، بحيث خضع جهاز التعليم العربي إلى تيارات تربوية سلطوية فعلت فيه فعل السيطرة والهيمنة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمنهجية تامة (مكاوي، 2001)، ولقد فرض بفعل منهاج التعليم ليتعمق من خلاله تاريخ الحركة الصهيونية وإنجازاتها من خلال طمس تاريخ الشعب الفلسطيني والأمة العربية وتجاهله، وهذا ما أطلق علية الكاتب اللبناني نصار "التربية التطويعية". كما أن غياب نواة حقيقية تدفع المناهج والمضامين التربوية في جهاز التعليم العربي وتوجهها (أمارة، 2006)، هو أحد تجليات الخطاب السياسي الرسمي اتجاه جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل.

البعد الثاني: أزمة التربية للقيم، وتربية لقيم مأزومة

لقد انتقد العديد من الباحثين جهاز التربية والتعليم العربي وغياب المنظومة والبطارية القيمية في المدرسة العربية (مرعي، 1982؛ صرصور، 1985؛ الحاج، 1996)؛ وأكد خالد أبو عصبة من خلال كتابه **أزمة التربية للقيم في المدرسة العربية** (2003)، أن دولة إسرائيل تجاهلت الخاصيّة المميزة للأقلية العربية، وحالت دون مضمنة المناهج التربوية بقيم تؤسس لمدرسة ذات طابع ريادي. وأضاف في مصدر آخر (2006) أن النقص الواضح في الميزانيات والسياسة التي تحاك

بعيداً عن مشاركة المواطنين العرب، تزيد من التمييع والشرخ القائم في جهاز التعليم العربي. ويميل أمارة (2006) إلى الاعتقاد بأنه في ظل غياب نواة حقيقية تشحن الخريج العربي برواية جماعية متميزة، وتخدم الشراكة الحقيقية وتعمق قيم المواطنة، تشرذم السيرورة التربوية، وتشكل مكاناً لقهر روايات المجموعات المستضعفة والمختلفة، وتطوقها خارج دائرة الإجماع. وعليه، فان جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل مثل أحد مصادر إبعاد الرواية الوطنية والقومية التي تمثل الأقلية العربية كمجموعة قومية، كما غيب أقليات قومية أخرى وأخرجها دون إحراج من الدائرة الجماعية، الفعل الذي يميل إليه كل جهاز تربية وتعليم مركزي، وهو فعل الجتمعة والحضرنة.

البعد الثالث: هدر للطاقات البشرية

يخدم جهاز التربية والتعليم في المعمورة عامة بناء القوى البشرية وتنميتها (مكاوي، 2001)، وغالباً ما تنعدم هذه الخاصية من جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل، حيث يجد خريج المدرسة العربية ثلاث عقبات أساسية وخطيرة على حد سواء، تتمثل العقبة الأولى في نسبة الرفض المضاعف لقبول خريج المدرسة الثانوية العربية في الجامعات الإسرائيلية (انظر تقرير سيكوي، 2004)، ما يدفع بالخريج العربي إما إلى العدول، وإما إلى تأجيل فكرة التعلم، وإما إلى التوجه إلى الدول الأجنبية علّه يجد فيها ملاذه. أما العقبة الثانية فتتمثل في عدم استيعابه في سوق العمل الإسرائيلي، وحجبه عن قطاعات اقتصادية واسعة (سيكوي، مصدر سابق). وأحد تجليات العقبة الثالثة هو عدم التمكين والدفع الاجتماعي للخريج من خلال ثقافته الأكاديمية (غرة، 2006)، ما يساهم في بناء نفسية المثقف المحبط، نظراً للسياسة المتبعة في تشغيل الأكاديميين العرب في جهاز التعليم المنهجي، وأيضاً في الأكاديمية الإسرائيلية، وفقط لغرض التمحيص يعمل ما يقارب 65 محاضراً عربياً مثبتاً في الجامعات الإسرائيلية من أصل 6500 محاضر، في حين يبلغ عدد العرب حاملي اللقب الثالث ما يقارب 1500 أكاديمي غير مشغل، ولنذكر أن نسبة العرب في المجتمع الإسرائيلي تتعدى 20%، أي أن أي مساواة موجهة في هذا الباب تسمح باستيعاب الأكاديميين العرب كافة من حملة اللقب الثالث للعمل في الأكاديمية الإسرائيلية والنهوض بها، ما يدفع بنا، وبلا محالة، إلى تجديد التأكيد على الحاجة الماسة لبناء جامعة عربية في إسرائيل، تستقطب جميع مراكز الأبحاث والجمعيات والمؤسسات شبه الأكاديمية في البلاد وتدمجها، ويتم تحويلها عملياً إلى البنية التأسيسية للجامعة العربية المنشودة، ومن ثم يتم فرض هذه الجامعة العتيدة على السلطات وليس العكس.

البعد الرابع: فجوة وتراجع مثبت

إذا ما قارنا جهاز التعليم العربي بالجهاز اليهودي، نجد على الصعيد التحصيلي هوة ثابتة في تحصيل الطلاب، وتبدأ من المدرسة الابتدائية، متمثلة في تحصيل الطلاب في امتحانات النجاعة المدرسية، مروراً بالهوة نفسها في المدرسة الإعدادية، وفي النماذج نفسها، إلى المدرسة الثانوية، حيث الفجوة في النتائج في امتحانات البيزا الدولية، وامتحانات البجروت، وامتحانات القبول في الجامعات، هذا إلى جانب التسرب الذي هو ضعف نسبته في جهاز التعليم اليهودي؛ وترجع هذه الفروق المتتالية إلى ما أسماه أندريه مزاوي (2003) وبصدق "تركيز في نقص الموارد".

من هنا نجد أن سياسة جهاز التربية والتعليم قد دفعت بفعل موجه نحو تعميق الهوة من جهة، وتغييب للدور الفاعل الذي يمكن للجهاز الرسمي أن يلعبه من جهة أخرى، هذا إلى جانب المحاولات الصادقة والمطالبة غير المترددة من قبل لجنة المتابعة وعلى مدار السنين لإحداث فعل الردة والريادة في هذا الجهاز، وتمكينه من أداء الدور المنوط به، إلى جانب القوة التربوية الأخرى التي سعت، وبشدة، إلى تضييق الهوة وتعميق التحصيل في جهاز التعليم العربي، وتنمية الجودة المدرسية وتطويرها، ووقف حدة العنف وتجلياته في المدرسة العربية، وإعداد البنية التحتية، ومضمنة منهاج التعليم برواية جماعية حقيقية تعكس الأبعاد القومية والوطنية للأقلية العربية في إسرائيل، وتتوج الفعل التربوي بنواة هادفة ومنهاج فاعل في صقل الخريج المرجو بما يخدم واقع المجتمع العربي في إسرائيل وتطلعاته.

مما ذُكر، نخلص إلى نتيجة مفادها أنه وعلى الرغم من التطور النوعي والكمي الذي لم يتجاوز جهاز التعليم العربي في إسرائيل، فإن الهوة ما زالت قائمة بذاتها، وتتكرس في الجوانب الأربعة التي أسلفناها؛ وهي غياب الرؤية، وطمس في المضامين، وهدر الطاقات البشرية، وفجوة وتراجع مثبت في الموارد، والجوانب التي تنعكس بطبيعتها على التعلم والتعليم وعلى نتاجه العرضي والطولي.

د. خالد عرار
مدير دار التربية والعلوم

المراجع

- إبراهيم مكاوي (2001). "التعليم الفلسطيني في الداخل بين القمع الصهيوني وتثبيت الهوية القومية"، **كنعان** (21)، 6-11. رام الله: مركز المشرق للدراسات.
- تقرير لجنة سيكوي (2003-2004)- عام على نشر استنتاجات لجنة أور، تحرير: ديختر شالوم. القدس.
- خالد أبو عصبة (2003). **أزمة التربية للقيم في المدرسة العربية**، جت: إصدار معهد مسار للأبحاث التربوية.
- محمد أمارة (2005). "إما نواة حقيقية، وإما لا حاجة لنواة"، قضايا التعليم العربي (4)، 74- 83. تحرير: نبيه أبو صالح وعاطف معدي، صادر عن لجنة متابعة **قضايا التعليم العربي**.
- محمد على الكردي (2001). **نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو**. دار المعرفة الجامعية.
- اعتمد الباحث أيضاً على مجموعة من المراجع باللغة العبرية (يمكن الحصول عليها لمن يحتاجها لغايات بحثية).